الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد

كما رواها الرحالة الأجانب في القرن التاسع عشر الميلادي

Abstract:
Iraq and the city of Baghdad in the nineteenth century to the deadly epidemics such as typhoon, cholera and smallpox, as well as other transitional diseases during the late Ottoman era, which resulted in negative effects that affected the life of the population and their activities in all areas of life and this is due to cultural backwardness and geographical factors and poor services Health, hygiene, etc. The research focused on the nature of the situation of the city of Baghdad in the 19th century, the factors that helped the spread of transitional diseases in the city of Baghdad, and the transitional diseases in the city of Baghdad as well as the measures taken to control the Transitional diseases Iraq in the late Ottoman period.
Keywords: Transitional Diseases, Baghdad City, Foreign Travelers, 19th Century

أ.م.د . كمال رشيد خماس العكيلي
جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي
Kamal.rashid1959@gmail.com

المستخلص:
تعرض العراق ومنهُ مدينة بغداد في القرن التاسع عشر إلى هجمات وبائية فتاكة كالطاعون ، والكوليرا ، والجدري علاوةً على أمراض إنتقالية آخرى أبان العهد العثماني المتأخر ، الذي نجمة عنهُ أثار سلبية آثرت بدورها على حياة السكان ونشاطاتهم بكافة مجالات الحياة ويرجع ذلك للتخلف الثقافي والعوامل الجغرافية وسوء الخدمات الصحية والنظافة وغير ذلك وقد تطرقت في البحث إلى طبيعة أوضاع مدينة بغداد في القرن التاسع عشر ، والعوامل التي ساعدت على إنتشار الأمراض الأنتقالية في مدينة بغداد ، والأمراض الأنتقالية في مدينة بغداد فضلاً عن الأجراءات التي أتخذت للسيطرة على الأمراض الأنتقالية في العراق في أواخر العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: الأمراض الأنتقالية ، مدينة بغداد ، الرحالة الأجانب ، القرن التاسع عشر

المقدمة

لم تشكل الأوبئة ولاسيما الطاعون والكوليرا والجدري ، التي أكتسحت العراق منذُ بداية القرن التاسع عشر ولغاية عام 1918 ، ظاهرة جديدة في التاريخ الحديث لهذا البلد . تاريخياً إرتبطت جذور الظاهرة بشكل وثيق بالهجمات الوبائية المتكررة التي حدثت في العراق . وفي الواقع أنهُ طالما أن شروط النظافة والصحة العامة للمجتمع العراقي في العهد العثماني لم تتحقق بشكل كبير ، فأن الهجمات والأندفاعات الوبائية تواصلت بلا أنقطاع .

وعلى أي حال ، فأنهُ في الوقت الذي كانت فيه الأوبئة تحدث تخريباً في العراق على نحو خطير ، فأن تقدمها وتداعياتها كانت تلاحظ وتدون بشكل دقيق من قبل المؤرخين المحليين ، والرحالة الأجانب الذين زاروا العراق ، والقنصليات والمقيميات في بغداد والمدن الآخرى .

ومامن شك في أن مسحاً تاريخياً لبعض الأندلاعات الوبائية قد يساعد في توضيح الحقائق المتعلقة بالأوبئة التي عصفت بالعراق .

وكانت هذه الأمراض الفتاكة لها آثار سلبية كبيرة ، ونتائج مدمرة تؤدي إلى هلاك البشر وتدمر المدن فضلاً عن شل الحركة السكانية والاقتصادية وذلك من خلال هروب السكان من الأوبئة خوفاً من الأصابة بها ، فضلاً عن تأثيرها على الحياة الساسية .

تضمن البحث ثلاث مباحث كالآتي :

المبحث الأول : أوضاع مدينة بغداد في القرن التاسع عشر

المبحث الثاني : العوامل التي ساعدت على إنتشار الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد

المبحث الثالث : أولاً : الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد

ثانياً :الأجراءات التي أتخذت للسيطرة على الأمراض الأنتقالية في العراق في أواخر العهد العثماني

الخاتمة، المصادر

المبحث الأول:أوضاع مدينة بغداد في القرن التاسع عشر

مدينة بغداد من المدن التي إمتازت باعتدال مناخها في جميع فصول السنة ، (الأشعب ، خالص ، مدينة بغداد نموها بنيتها تخطيطها ، ص6) وذلك لموقعها المهم في الأقليم الرابع ، (ميخائيل ، عواد ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، ص5) ويكون سقوط الأمطار فيها التي تهطل

في العادة خلال "26" يوماً، تقع بين شهر تشرين الثاني وآيار ، ومناخها إنتقالي بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي الحار ، حيث التطرف الكبير بين درجات الحرارة لفصلي الصيف والشتاء.(عبود ، عبد المنعم كاظم ، مجلة آمانة العاصمة ، العدد 9، آذار ، 1977، ص14. 15) ومن الممكن الاستفادة من مياه نهري دجلة والفرات معاً وذلك لموقع مدينة بغداد على نهر دجلة ، وقربها من نهر الفرات في الوقت نفسه .(حسين ، عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، ص108)

اللغة العربية هي اللغة السائدة التي يتحدث بها الناس ، ونظراً لوجود بعض الجاليات غير العربية فقد شاعت في لغة السكان ، مفردات تركية وفارسية .(الحسني ، عبد الرزاق ، بغداد ، ص133) وقد تأثر الرحالة الأجانب بالحرية النادرة التي يتمتع بها غير المسلمين ، والتسامح السائد بينهم،(المصدر نفسه ،ص155) فطبقة الموظفين لم تخلوا من الأتراك ، بينما التجار كانوا أولاً من العرب وهنالك بعض الكرد والهنود والفرس .(المصدر نفسه ، ص148. 149) وفيما يخص طبائع السكان فقد أشار إليها كثير من الرحالة الأجانب الذين زاروا المدينة في القرون الماضية فهذا روسو وهو المقيم الفرنسي في بغداد للفترة 1759. 1801م قد وضع كتاباً عن بغداد سماهُ وصف باشوية بغداد يصف سكان بغداد بأنهم أبعد مايكونون عن العبيد الأخساء ، فأنهم فخورون يتصفون بالجسارة ، أما عن صفاتهم الأجتماعية فأنهم دائماً مؤدبون عُقلاء كُرماء محسنون إلى الأجانب .(ولستيد ، جيمس ريموند ، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي مدحت باشا ، ص55) فيما يذهب السائح الفرنسي أوليفيه إلى إن سكان بغداد أكثر حُلما في طباعهم من سائر سكان المدن الآخرى ، فتعصبهم الديني لايخلو من تسامح .(العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، ص31. 32). ولو دققنا في المناظر القائمة داخل المدينة في القرن التاسع عشر لوجدناها لا تثير الأهتمام بالشكل الذي يتوقعهُ المرء من الشهرة التي نعمت بها بغداد بوصفها عاصمة لإمبراطورية لها غناها وأهميتها ، ذلك إن مساحات واسعة من الأرض ضمن الأسوار لا توجد فيها أبنية ولاسيما الجانب الشمالي الشرقي منها .(بكنغهام ، جيمس ، رحاتي إلى العراق سنة 1816، ص92). وهنالك سور حول الجانب الشرقي لبغداد مُشيد كلهُ بالآجر يُمثل إحدى المعالم المهمة في المدينة ولأنهُ على جانب كبير من الأهمية .(الهيتي ، صبري ، تخطيط مدينة بغداد ، ص11)

ويُحيط بهذا السور كلهُ خندق لاماء فيهِ ذو عُمق ظاهر ولايوجد في هذا الخندق أي بناء .(بكنغهام ، رحلتي إلى العراق سنة 1816، ص191). كان العراق في القرن التاسع عشر مُقسماً إلى ثلاث ولايات هي : بغداد والموصل والبصرة ، وكانت تشكيلات ولاية بغداد الأدارية في العهد العثماني عبارة عن الوالي ،(شوكت ، ناجي ، سيرة وذكريات ، ج1، ص25) ويساعدهُ مجلس يجري تعيينهُ وعزلهُ من قبل السلطان العثماني في الأستانة ، والذي كان عليهِ أن يتعهد بدفع مبلغ مُعين لخزينة السلطان في كل عام ، ذلك المبلغ الذي يُمثل ضرائب ولايتهِ .(فوصيل ، بيردي ، الحياة في العراق منذ قرن ، ص77. 78) وكان هولاء الولاة الباشوات يؤلفون مجموعة متنافرة يختلف أفرادها إختلافاً بيناً في سوياتهم ومداركهم وفي عاداتهم وأحوالهم ،(الخياط ، جعفر ، أطوار غريبة في باشوات بغداد ، ص16) بحيث نستطيع أن نجمع مجموعة طريفة من أحوالهم الشاذة وأطوارهم الغريبة. وبسبب إستبداد هؤلاء الولاة فقد أصيبت بغداد بأنواع المصائب والأهوال ، الذين لم يكن ديدنهم غير جمع الأموال وفرض الضرائب ، ومما زاد في المصائب تفشي الأضطراب في الدولة العثمانية من جهة وعدم وجود قانون خاص بالبلاد يسير عليهِ الولاة من جهة آخرى ، مما أدى إلى أن تُحكم البلاد بما يشتهيه الولاة دون خشية من رقيب أو رادع ، وهكذا كانت بغداد في حالة سيئة لاتستقر على قاعدة واحدة بل تتغير بتغير الولاة .(سوسة ، أحمد ، الدليل الجغرافي العراقي ، ص7). والسرايا و قصر الباشا يتألف من بناية واسعة وليست كبيرة تقع في الحي الشمالي الغربي من المدينة قرب نهر دجلة ، وتضم في داخلها معظم الدوائر العامة وهي بناية عصرية نسبياً (بكنغهام ، جيمس ، رحلتي إلى العراق ، ص193) وفي المدينة عدد من القنصليات الأجنبية لكل من إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيران ، (شوكت ، ناجي ، سيرة وذكريات ، ج1، ص25) ويذكر إن أقدم قنصلية أجنبية في بغداد هي الفرنسية حيثُ تأسست عام 1796 م تلتها البريطانية عام 1798م .(سوسة ، أحمد ، الدليل الجغرافي العراقي ، ص32). وعن مكانة القنصل البريطاني في بغداد وقوة تأثيره في أمور الولاية ، يشير فريدريك روزن قنصل ألمانيا في بغداد عام 1898م في مذكراتِهِ بقولِهِ " إن القنصل العام أو المقيم البريطاني الكرنل لوخ يتمتع بمكانة تفوق كثيراً مكانة القناصل الآخرين " .(صفوت ، نجدت فتحي ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب ، ص59) بل أكثر من ذلك إن قنصل بريطاني يُمكن إعتبارهِ أقوى رجل في بغداد والذي لهُ أكثر النفوذ في الولاية بعد الوالي ويُعتبر رأيه في قصر الوالي (الباشا) من الأهمية والتأثير أقوى حتى من رأي ديوانهِ .(العمري ، سعاد ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة ، ص56. 57). ومن الملاحظ إن بغداد شهدت صروفاً عدة من أحداث الزمان وعانت من الويلات والنكبات عبر تأريخها ، (الجبوري ، جميل ، مجالس الأنس والطرب في بغداد القديمة ، ص35) فقد قضى الطاعون والغرق والمجاعة بأبشع أشكالها على الكثير من السكان وقوض أسوار هذه المدينة وعمرانها .(فريزر ، جيمس بيلي ، رحلة فريزر إلى بغداد في 1834، ص93) إضافةً إلى الحرائق التي كانت تحدث كثيراً. وغمرها الفيضان الخطر عدة مرات .فقد أعتاد نهر دجلة أن يطغي بحيث تصبح بغداد شبه جزيرة تحيط بها مياه الفيضان ، وبذلك تنتشر الأوبئة وتكثر الحشرات ويسوء المناخ .لذا فليس بغريب أن يبقى بعد ذلك كلهِ من المدينة الاصلية إلا القليل ، وإنما الغريب أن يبقى منها شيء (دراور ، ليدي ، في بلاد الرافدين صور وخواطر ، ص111) . وإلى جانب هذه الكوارث الطبيعية لم تكن المدينة تتمتع بالهدوء والطمأنينة فقد كانت السرقات وحالات القتل دائمة الحدوث فيها حيثُ المجرمون وقطاع الطرق يلقون الرعب في قلوب سكانها ، والغريب إن الجُناة بصورة عامة لا تطلهم



يد العدالة .لذلك نرى قنصل فرنسا في بغداد عام 1890م في إحدى رسائلهِ يقول " إن طاعوناً من السرقات والاغتيالات قد تفشى ، ففي كل ليلة تقريباً يسطو اللصوص على بعض المنازل ويجردونها من متاعها ، وكذلك تغتال قطعان من الشُقاة بعض الأفراد" ويضيف " إن التسيب في بغداد قد بلغ الأوج فالسرقات متصلة ولم يصدر أي حكم جدي في أي من هذه الجرائم ، فأن الحُكام يبيعون أحكام تخليص المجرمين للمجرمين " وبالتالي يصف قنصل فرنسا الإقامة في بغداد " بأنها تزداد صعوبة ومشقة من جراء المناخ وانتشار الأوبئة " . (فوصيل ، بيردي ، الحياة في العراق ، ص45. 47). وبشأن التعليم الذي لم يكن أحسن حالاً من المرافق الأخرى إذا لم يكن أسوء منها في العهد العثماني ، لذا تفشت الأمية بشكل كبير ، ففي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت نسبة المتعلمين في العراق لاتزيد عن % 0,5. (الهلالي ، عبد الرزاق ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638. 1917، ص150). شيئاً أكثر من القرآن ، والحقيقة إن الكتاتيب كانت تعلم اللغة العربية والخط العربي ومبادىء الحساب إلى جانب تعليم القرآن الكريم وتلاوتهِ ، ويبدو إن التعليم في الكتاتيب كان كمنزلة المدارس الأبتدائية في عصرنا ... خاصةً وأن الثقافة العامة هي ثقافة كتابية محضة .(الكتاتيب ، مجلة بغداد ، العدد 18، آذار ، 1965، ص22).بينما كان التعليم الغربي منتشراً بين الأقليات الدينية كاليهود والمسيحيين . يُمثل مستوى عالٍ من التعليم ، تساندها في ذلك بعثات التبشير التي كانت تخدمها . (لونكرك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1900.1950، ج1، ص 42) وكانت تمثلهُ المدرسة. اليهودية الفرنسية المعروفة باسم رابطة التي أسست في عام 1864م .(المصدر نفسه ، ج1، ص31. 32). وقد أحاطت الأسوار بالضفتين في أكثر عصورها نظراً لوجود ضرورة الدفاع ، وقد أحاطت الخنادق بالاسوار لغرض الدفاع أولاً ، وبزل المياه الجوفية من المدينة ثانياً .ولم تكن هناك ضرورة للشوارع المتميزة المستقيمة ،(المدفعي ، قحطان ، بغداد . وزارة البلديات . ص2) وبالتالي قلما نجد شارعاً مستقيماً تقريباً في بغداد . ويروي محمود صبحي الدفتري إن المدينة كانت عبارة عن مجموعة أزقة ودرابين ضيقة تجتمع في أحياء مختلفة بحيث يكون كل حي وحدة مستقلة تضم في الغالب المسجد والحمام والسوق والمقهى والمختار فضلاً عن وجود أصناف مختلفة من اهل الحرف ، تستيقظ فجر كل يوم على أصوات المؤذنيين الذين يدعون أهل بغداد إلى الصلاة ، أو على أصوات الباعة المتجولين فتدب الحياة مع الفجر وينصرف الناس إلى أعمالهم ، فكانت الأزقة على ضيقها تعج بهذه الأصناف وتزدحم بهم . (العرداوي ، عادل ، محمود صبحي الدفتري وذكريات عن بغداد ، ص43) وهذه الأزقة الضيقة الملتوية فأنها تشكل الممر الوحيد لمرور الحمير أو الحمالين الذين يحملون الأحمال على ظهورهم (لونكريك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1900. 1950، ص43). ولعل ضيق الطرق والتواءها يعطي المدينة صفة دفاعية ، فيساعد على صد الغارات وحصر الأعداء في أوقات الأزمات ، كما إن من شأن الطرق الضيقة أن تحمي السكان من أشعة الشمس المحرقة التي يتصف بها مناخ بغداد خلال أشهر الصيف وكذلك البرد في الشتاء ، إضافة إلى عدم وجود تنظيم في البلديات

.(الشيخلي ، محمد رؤوف طه ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها ، ص53). وعن أحوال المدينة وضيق طرقها وأسواقها وهو أول سائح أمريكي يزور العراق عام 1874م " رفضتُ ركوب فرس عُرضت عليّ لأن الشوارع الضيقة والأسواق يسير فيها الماشي براحة أكثر ، وأن كان الركوب يزيد في وجاهته ، وسرتُ على قدمي مواصلاً إلى السراي أو القصر " .(فوك ، وليم بيري ، أحوال بغداد في القرن أ ل 19، ص15) وبصورة عامة كانت المحلات في بغداد حلزونية الشكل أو ذات إمتدادات تنتهي أو تتصل ، بأستثناء محلة خان لاوند التي تقع في جانب الرصافة قرب محلة الفضل شُيدت على هيئة بلوكات مستقيمة بلا تعرجات أو زوايا أنشأها الشيخ عبدالوهاب النائب والظاهر إن الذي أشرف على طرازها وتخطيطها مهندسون وليس معماريين . (البكري ، عبد الرحمن ، جلال الحنفي يتحدث عن النظام العمراني في بغداد القديمة ، ص38) وكانت محلات بغداد موحدة ويترأس كل محلة وجيه من أعيان وأعلام المدينة ، فمحلة الفضل مثلاً يترأسها الشيخ عبدالوهاب النائب ، ومحلة الميدان محمد فاضل الداغستاني ، ومحلة الحيدر خانة الشيخ داود النقشبندي ، في حين يترأس محلة قنبر علي آل جميل ، ومحلة القُشل آل كبة وآل النقيب على محلة باب الشيخ ،ومحلة رأس القرية آل الباجحي في حين جانب الكرخ من بغداد يترأسهُ آل السويدي .(العلاف ، عبد الكريم ، بغداد القديمة ، ص70) وفي مجال الخدمات العامة ، فعلى الرغم من وقوع بغداد على نهر دجلة وأنتشار الآبار في معظم البيوت ، أعتمد السكان على تأمين حاجياتهم من الماء ، بأعتبارهِ المادة الأساسية التي لايمكن الأستغناء عنها ، (الزبيدي ، فخري ، بغداد من 1900. 1934، ص41) على السُقاة الذين كانوا ينقلون الماء من الشرايع المنتشرة على ضفتي النهر بواسطة القرب الجلدية أما على ظهورهم أو على ظهور الحيوانات .(الحجية ، عزيز ، بغداديات ، ج1، ص125) في حين أقتصر إستخدامهم لمياه الآبار في غسل الآواني والحاجيات الآخرى ، حيثُ كانت الآبار منتشرة على نحو كبير في بيوت بغداد .فقد قدرها الرحالة التركي عند زيارتهِ للمدينة في منتصف القرن السابع عشر الميلادي بـ (6) الآف بئر .(جلبي ، أوليا ، مقتطفات من مشاهدات أوليا جلبي في بغداد ، ص5) ولقد أعتاد كثير من الموسرين لذكرى عزيز راحل ، منها سبيل المثال خانة النقيب في محلة السنك ، وسبيل خانة المنطكة بين الكاظمية وسوق الجديد بالكرخ.(الحجية ، عزيز ، بغداديات ، ج1، ص169) وبخصوص الأنارة لطرقات المحلات كانت تتألف في أحسن الأحوال من أستعمال فوانيس قليلة توقد بالزيت .(لونكريك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1900.1950، ص44) لم تكن بغداد إلا مدينة صغيرة على جانبي نهر دجلة ، فكان الناس ينتقلون فيها مشياً على الأقدام أو على ظهور الخيل وبالتالي كانت الحيوانات هي وسيلة النقل البرية السائدة . فكان معظم الموسرين من المشاهير والأغنياء ورجال العلم في بغداد يعتنون بتربية الخيول لركوبها في تنقلاتهم وقضاء الأعمال ، ومنهم من (يركب) مثل شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي ، والثري اليهودي المعروف مير ألياس .(الجميلي ، صادق ، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية ، ص20) وكان يتم العبور بين جانبي بغداد بواسطة الزوارق . يسميها أهل بغداد البلام .

والقفف .(العلوجي ، عبد الحميد ، التراث الشعبي ، حضارة العراق ، ج13، ص54) إضافةً إلى وجود الجسور العائمة الأول قديم جداً في وسط بغداد . محل جسر الشهداء حالياً . بينما الثاني يقع بالقرب من بلدة الأعظمية وهما مصنوعان من الخشب والقير وسلاسل الحديد ، والعبور عليها يخضع لرسم المرور وهذا كل سنة عن طريق المزايدة .(الزبيدي ، فخري ، بغداد من 1934.1900، ج1، ص25) ومن وسائل النقل المحلية الأكلاك المصنوعة من أعمدة خشبية وجلود لنقل مختلف الحمولات وعلى الأخص المواد الغذائية من الموصل إلى بغداد ، حيثُ ترسو هذه الأكلاك في شريعة النواب بجانب الكرخ أو في شريعة الأعظمية .(4 لونكريك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1950.1900، ص56) وكان السفر بين بغداد والبصرة وبقية المدن القائمة على ضفتي نهر دجلة يجري بواسطة بواخر شركات نهرية تجارية أجنبية هما الشركتين بريطانية ومقرهما البضائع الواردة من الهند والصادرة إلى خارج العراق .(شوكت ، ناجي ، سيرة وذكريات ، ج1، ص24)

المبحث الثاني : العوامل التي ساعدت على إنتشار الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد لم تشكل الأوبئة ، ولاسيما الطاعون والكوليرا والجدري التي إكتسحت العراق ومنهُ مدينة بغداد منذُ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية عام 1918، ظاهرة جديدة في التاريخ الحديث لهذا البلد . تاريخياً إرتبطت جذور الظاهرة بشكل وثيق بالهجمات الوبائية المتكررة التي حدثت في العراق . وفي الواقع إنهُ طالما إن شروط النظافة والصحة العامة للمجتمع العراقي في العهد العثماني لم تتحقق بشكل كبير ، فإن الهجمات والإندفاعات الوبائية تواصلت بلا إنقطاع . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص27) على أي حال ، فأنهُ في الوقت الذي كانت فيهِ الأوبئة تحدث تخريباً في العراق على نحو خطير ، فإن تقدمها وتداعياتها كانت تلاحظ وتدون بشكل دقيق من قبل المؤرخين المحليين ، والرحالة الأجانب الذين زاروا البلد والقنصليات الأجنبية في مدينة بغداد والمدن الآخرى . وما من شك في إن مسحاً تاريخياً لبعض الإندلاعات الوبائية قد يساعد في توضيح الحقائق المتعلقة بالاوبئة التي عصفت بالعراق لاحقاً . (المصدر نفسه)

ومن الأمراض الإنتقالية التي إنتشرت في العراق مرض الطاعون وذلك في الربع الأخير من القرن السابع عشر وقد تفشي الوباء في مدينة بغداد لمدة خمسة أشهر تقريباً . فيما بدأ النشاط الوبائي في العراق خلال القرن الثامن عشر تدميرياً على نحو أكثر من ذي قبل ، حيث إجتاح الطاعون مناطق مختلفة من البلاد مثل مدينة الموصل ومدينة بغداد التي إكتسحها مرض الطاعون من إستانبول والتي كانت أكثر مأساوية خلال هذا القرن . (السويدي ، حوادث تاريخ بغداد والبصرة ، ص36. 37) وقد تركت القوة التدميرية لهجوم الطاعون الوبائي في عام 1773 تداعيات خطيرة على المجتمع العراقي ، عندما نشر الفقر والتشرد وحتى الأمراض العقلية بين الناس . لقد كان من المألوف جداً رؤية رجال ونساء في بغداد سبق وإن كانوا يعيشون حياة مترفة ، يتجولون في الطرقات ، سائلين الناس الصدقات ، فيما أصيب آخرون بالكآبة والجنون لفقدهم الوالدين والأولاد والأصدقاء الحميمين والثروة . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص30) وبقدر تعلق الأمر بالأوبئة ، يُعد القرن التاسع عشر الأكثر مأسوية في تاريخ العراق الحديث بسبب تزايد الهجمات الوبائية ، وتوطنها المؤقت ، والخسائر البشرية الفادحة . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص31) بالأضافة إلى الأوبئة ، كان هناك تنوع كبير للأمراض الآخرى التي ظهرت في العراق في الفترات العثمانية المتأخرة ، مثل الملاريا ، والحمى المعوية ، والتيفوئيد ، والزحار ، والإسهال ، والحصبة ، والحمى القرمزية ، والإلتهاب الرئوي ، وإلتهاب الشُعب الهوائية ، والتدرن الرئوي ، والجُذام ، وأمراض آخرى . فيما كانت " حبة بغداد " أو كما يسميها البغداديون " الأخت " ، مألوفة جداً لمعظم العراقيين . وقد هاجمت " الأخت " بلا تمييز الرجال والنساء والأطفال ، ووسمت وجوه العديد من سكان العراق لأجيال قادمة . (المصدر نفسه ، ص36) أقنع الحدوث المتكرر للموجات الوبائية في كل سنة في العراق عالم الأوبئة البريطاني "دكتور بين " أن يصنف العراق كأحد مناطق الشرق الأوسط التي إستضافت أمراضاً متوطنة ، وعلى وجه الخصوص الطاعون . وقد إستند الدكتور " بين " في وجهة نظرهِ على إعتبارات جغرافية وطبيعية وإجتماعية .(j.fpayne.Vol.1.p15) . ومن جانبهِ أوضح عالم الأوبئة الفرنسي المشهور " ثولوزن " ، في كتابهِ " وباء الطاعون في بلاد الرافدين عام 1867" إن العراق بسبب التفشي المتواصل للأوبئة ، ربما يكون المركز المميز للمعلومات لكل أولئك الذين كانوا يخشون الأوبئة ويريدون أن يعيشوا بأمان . وقد شاطر علماء أوبئة آخرون وجهتي نظر العالمين . بين وثولوزن . لقد ربط هؤلاء جميعاً بين إنتشار الأوبئة في العراق والظروف الجغرافية والمناخية السائدة فيهِ . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص37) إن الأوبئة كما هو الحال بالنسبة لكل أنواع الأمراض الآخرى ، حساسة جداً للحرارة والرطوبة وهطول الأمطار ، ويمكن لكل واحدة من تلك الظروف المناخية أن تزيد أو تقصر من مجرى نمو وتطور الأمراض المعدية ، فلابد التطرق لتلك العوامل المؤثرة على تفشي الأمراض المعدية وهي :

1. العامل الجغرافي :

أدرك علماء الأوبئة والأكاديميين وغيرهم صلة المناخ الوثيقة بتفشي الأوبئة في العراق ، ولأجل توضيح تأثير المناخ في الأوبئة من حيث إندلاعها وإنتشارها لابد أن نوضح بصورة عامة الظروف المناخية في مدينة بغداد . لقد وردت بيانات عثمانية لولاية بغداد للمدة من 1876. 1913لحالة الطقس في مركز الولاية وتقسيماتها الأدارية الآخرى ، كان الصيف في ولاية بغداد كالمعتاد حار جداً وتراوحت درجة الحرارة في الظل أحياناً بين 40. 48درجة مئوية ، وفي الشتاء كان البرد شديد جداً وتراوحت الحرارة في بعض السنوات بين 3. 4 تحت الصفر ، وكان الهواء في الولاية بشكل عام صحياً وجافاً بأستثناء المناطق الجنوبية حيث الرطوبة العالية . فكان فصل الصيف يستغرق ستة أشهر في منتصف نيسان إلى بداية تشرين الأول ، وفصل الخريف يبدأ من تشرين الأول إلى نهاية تشرين الثاني ، وأما فصل الشتاء يكون لمدة ثلاثة أشهر

، وفصل الربيع لمدة شهر واحد . وقد يبدأ هطول المطر عادةً في أواسط تشرين الثاني ويستمر إلى منتصف نيسان ، وعانت ولاية بغداد أيضاً من موجات الجفاف من حين لآخر ، لذا عُزيت العديد من الأمراض التي أُبتلي بها البغداديون إلى هذا المناخ المتطرف المتسم بالتباين الكبير في درجات الحرارة . (المصدر نفسه ، ص40)

وقد أوضح بعض علماء الأوبئة وسائل لنشر الجراثيم أو قتلها فعالم الأوبئة الفرنسي " تولوزن " الذي شخص التفشيات الثلاثة للطاعون في العراق في الأعوام 1773و1800و1801 بأن بداية هذهِ التفشيات كانت في الشتاء وتطورها كان في الربيع ، وضعفها وإنقراضها كان في الصيف أي إن الحرارة العالية أوقفت التفشيات للطاعون ، وسارت الكوليرا على القاعدة ذاتها فقد كانت تتلاشى تماماً ، وتعاود الظهور في مواسم الخريف والربيع ، أي أسهمت الحرارة العالية وبرودة الشتاء الشديدة في إنقراضهِ على الأغلب عجلت درجة حرارة 40 درجة مئوية في إنقراض الطاعون وضمنت برودة الشتاء القاسية نهاية الكوليرا فيما أوقفت مواسم إنحباس الأمطار الجدري لأن طفيلياتهِ تعتمد على الرطوبة . (المصدر نفسه ، ص42. 43) ويشير علماء الأوبئة أيضاً صلة التربة بالأندلاعات الوبائية في العراق ولاسيما الطاعون إن الوباء كان أحياناً يعاود هجماتهِ ضد بقعة واحدة معينة أو أكثر وبهذا يمكن تصنيف هذه البقع على إنها مناطق متوطئة بسبب إنتشار الوباء في فترات متعاقبة . (المصدر نفسه ، ص44)

2. الكوارث الطبيعية :

تعرض العراق طوال تاريخهِ الحديث للعديد من الفيضانات التي جلبت الأضرار الفادحة لمناطق واسعة من هذا البلد ، وعليه تفاقمت خطورة الأوبئة والأمراض ، وأسهمت في إنتشارها بشكل واسع ، فضلاً عن الدمار العمراني الذي حلّ في مدينة بغداد جراء فيضان نهر دجلة المتتابعة والتي بلغ عدد الفيضانات التي تعرضت لها بغداد عشرين فيضاناً من 1840. 1907 . وغالباً ماكان الفيضان والطاعون يهاجمان في وقت متزامن ، ناشرين الخراب في كل مكان . وكانا يحدثان في أواخر الربيع . (المصدر نفسه ، ص48) ومن جراء ذلك كنموذج للتدمير المأساوي الذي تجلبهُ الكوارث الطبيعية وصلة ذلك بالأوبئة ، فقد إنهارت " 700" دار على رؤوس ساكنيها خلال فيضان بغداد عام 1831، فيما دُفن قُرابة 15000ألف بين أنقاضها ، وكان العديد منهم أما مرضى أو يحتضرون بسبب الطاعون . لقد تحولت تلك الجثث المصابة بالطاعون إلى عوامل جديدة لنقل الوباء ونشرهِ في أماكن آخرى من بغداد . (المصدر نفسه) وكان جرف القبور واجداث الموتى من المقابر وسائل آخرى أسهمت من خلالها الفيضانات بنشر الأوبئة . فمثلاً عندما غمر نهر دجلة بغداد وضواحيها في عام 1894، أصبحت معظم المقابر تحت الماء ، فيما طرحت الجثث والأكفان خارجاً ، فكان ذلك فرصة جديدة لنشر الأمراض المعدية ، ولاسيما الكوليرا التي كانت رائجة في العراق من شهر مايس إلى شهر تشرين الثاني عام 1893. (المصدر نفسه ، ص49)

وبسبب الصلة الوثيقة بين مرض الطاعون والفيضانات في العراق ، يعتقد غالبية سكان بغداد وكذلك السلطات الصحية الفيضانات نذير شؤم لهم . بأن أي فيضان لابد أن يتلوه مرض الطاعون . ولذلك فإن معظم البغداديين عندما فاض نهر دجلة في عام 1894، توقعوا إن وباءاً مرعباً سوف يداهم مدينتهم في الموسم القادم . (المصدر نفسه) وعلاوةً على ذلك نتيجة للفيضانات تترك برك في مساحات واسعة من بغداد مما يسمم الهواء ويسبب إنتشار الأوبئةوالأمراض ومنها إنتشار الوبائي للكوليرا أمراً محتملاً ، مثلما أشار إلى ذلك القنصل الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد في شهر مايس عام 1894 . (المصدر نفسه ، ص50) أما بالنسبة للمجاعات ، فقد تم حدوثها بأستمرار في تاريخ العراق الحديث . على الرغم من إن العراق ذو موارد مائية هائلة لوجود نهري دجلة والفرات ، فمن الصعب ان ينسب المجاعات إلى الجفاف التي حدثت في العراق أواخر العهد العثماني وذلك لعوامل عدة منها : العامل الأول : الحصارات التي كان يفرضها الغزاة على المدن العراقية مما سبب لهم أمراضاً عديدة (المصدر نفسه) والعامل الثاني إن فيضانات دجلة والفرات في أشهر آذار ونيسان ومايس من كل عام ، كانت تُلحق دماراً بالمحاصيل الزراعية غير الناضجة . كما هو الحال في سنة 1831المريعة فبعدما إنتشر مرض الطاعون في بغداد وغمرت مياه دجلة الأراضي الزراعية ، ضربت المجاعة المدينة نتيجة لتلف المحاصيل أثناء موسم الحصاد . لقد ضاعف هذا الحدث التأثير المدمر للطاعون ، وجلب الفقر المدقع للسكان . والعامل الآخر ، كانت التقلبات المناخية العارضة . بينما العامل الأخير يمكن أن يُعزى إلى دور الحشرات التخريبي كالجراد المدمر في تاريخ العراق في العهد العثماني . (الوردي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج1، ص111. 113) وهكذا يتضح إن الفيضانات والمجاعات أدت إلى توسيع نطاق الأوبئة وتفاقم تداعياتها على الصحة العامة في العراق طوال العهد العثماني المتأخر .

3. النظافة والصحة العامة :

عاشت أغلب المدن والقرى العراقية أثناء فترات الحكم العثماني المتأخر من نقص النظافة والأوضاع السيئة للصحة العامة ممهدة لإنتشار الأمراض والأوبئة المختلفة . وذلك وفق التقرير من قبل المجلس الصحي في إستانبول بشأن تفشي مرض الكوليرا في العراق عام 1881 . بأن غالبية سكان العراق كانوا يعيشون في أكواخ من الطين محاطة بكل أنواع القاذورات ، وأوضح " آر بومان " الجراح الملحق بالقنصلية البريطانية في العراق في مذكرتهِ 20كانون الثاني 1890، إن قذارة أغلب بيوت بغداد ومياهها غير صالحة للشرب ، وعيوب صحية آخرى جعلت هذه المدينة مرتعاً لأي وباء قد يزورها . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص53) وفضلاً عن ذلك غياب خدمات البلدية مما جعل المدن العراقية تفتقر للنظافة والجهود للحفاظ على الصحة العامة ، فيما كانت البلدية الأولى في بغداد التي تأسست عام 1868 تم التركيز على نظافة المدينة ولاسيما أماكنها العامة ، وعلى مراقبة الأوضاع الصحية إلا إنها بقيت محدودة بشكل عام . (العلاف ، بغداد القديمة (1869. 1917) ، ص187)

وأثناء حكم الوالي العثماني مدحت باشا 1869. 1872إتخذت إجراءات معينة متمثلة بتجفيف مناطق المستنقعات حول بغداد التي كانت تسبب

الحميّات ، وإقامة مرسسات بلدية للإنارة والشرب في المراكز الرئيسية ، وإستخدام العربات في جمع النفايات من أحياء بغداد وإلقائها خارج المدينة ، وقد إتبع الولاة العثمانيون الآخرون لبغداد إجراءات مماثلة لما قام بها الوالي مدحت باشا ، وذلك لتحسين النظافة ورفع مستويات العامة في بغداد وهو الوالي ناظم باشا 1910. 1911الذي منع البغداديين من إلقاء النفايات في الشوارع ، وردم الخنادق المحيطة ببغداد وهي مصدر للقذارة والجراثيم . (الوردي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ص175). بالإضافة إلى ذلك هناك مشكلة آخرى وهي المياه الملوثة التي كان يستخدمها الأهالي للشرب في المدن العراقية أثناء الحكم العثماني . فقد كتب القنصل الأمريكي في العراق " جون ساند برغ " في 18مايس 1893 بشأن الأوضاع الصحية في بغداد ، إن المياه المستخدمة محلياً كانت تؤخذ من مكان على نهر دجلة ، حيثُ مئات الحمير والرجال يتبولون ويتغوطون كل يوم وهذا بدورِهِ يؤثر على مياة البيوت .وقد إنتقد بشدة " ساندبرغ " السلطات العثمانية في بغداد لفشلها في تزويد أهالي المدينة بالماء الصالح للشرب . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص55)

وعلى الرغم من ذلك قام والي بغداد " سري باشا " 1888. 1891 في عام 1889 حوضاًكبيراً للماء قرب محلة الفضل لتزويد أهالي المدينة بالمياه الصالحة للشرب ، وكذلك نُصبت في بغداد عام 1907 أثناء عهد الوالي حازم باشا 1907. 1908 مضخة على ضفاف نهر دجلة قرب محلة الميدان لتجهيز بيوت بغداد بالماء ولقيت هذه الإجراءات ترحيباً من قبل أهالي بغداد . (العلاف ، بغداد القديمة (1869. 1917) ، 75. 77)وعلى الرغم من الجهود الإصلاحية التي قام بها بعض الولاة العثمانيين بقى المستوى متدني للنظافة والصحة العامة في العراق بكافة مدنهِ أي عدم وجود مراقبة وتوجيه الحكومة آنذاك مما ساعد على إنتشار الأوبئة القاتلة في كل أرجاء البلاد وبين شرائح المجتمع ، ولاسيما الفقراء الذين كانوا في الغالب الفئة الأكثر إبتلاءاً بالهجمات الوبائية . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص56. 57)

4. الفقر : الفقر والفافة أكثر سوءاً في مستوياتهما في ضواحي بغداد والمناطق التي تقع إلى الجنوب منها ، حيث كان الرجال والنساء والخيول والحمير والجواميس ، ينامون سوية تحت خيم وفي أكواخ مغطاة بسعف النخيل وإن هذهِ المخلوقات تعيش على الشعير ةالرو والتمور والأسماك المتعفنة ، ونتيجة للفقر فإن غالبية سكان هذه المناطق مارسوا الاعمال والمهن ماهو أدناه وأكثرها خطراً على الصحة . (المصدر نفسه ، ص58) وإن المستوى المعاشي المتدني للفقراء وتكدسهم في أحياء تنقصها النظافة والهواء النقي وهما ضروريان لتقليل خطر العدوى الوبائية تكون أكثر عرضة لضربها بمرض الطاعون علماً إن الفقراء كانوا أكثر المتأثرين بمرض الطاعون أي إنه وصف بمرض الرجل الفقير الذي لم يذهب إلى الطبقات العليا في المجتمع العراقي ، ووفق تقرير هيئة الصحة في أستانبول في المدة 1878. 1879 وصف الدكتور كابيادس الذي خدم في العراق بالعهد العثماني " الطاعون بأنهُ داء التُعساء أو طاعون الفقراء وقلما يُهاجم الأغنياء ، وذلك لتوفر وسائل النظافة والوعي الصحي لديهم ، بينما مرض الكوليرا أقل تمييزاً في هجماتهِا القاتلة. (Robert ,The Milory Lectures ,p50)

5. نقص المؤسسات الصحية: قلة المؤسسات الصحية في الولايات الثلاثة " بغداد والبصرة والموصل" وخصوصاً المستشفيات التي من الممكن تلعب دور كبيراً في تفادي الأمراض والأوبئة المنتشرة بين سكان العراق . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص62) لقد أسس الوالي العثماني مدحت باشا المستشفى المدني الأول في العراق وأفتتحهُ عام 1872 وقد خصص للأشخاص المسنين الذين ليس لديهم أقارب يقدمون لهم الرعاية ، لذا أطلق عليه اسم " مستشفى الغرباء" أو " مستشفى الفقراء " وقد أهملت هذه المستشفى بعد رحيل الوالي مدحت باشا ، وتأسست مستشفى آخرى في بغداد عام 1901 أثناء عهد الوالي نامق باشا 1899. 1902 وتم تجهيزه بأدوات جراحية من أوربا ، علاوةً على ذلك أسس مستشفى آخر في بغداد وهو "المستشفى العسكري " ورغم من قلة هذه المستشفيات رافقها قلة في الكوادر والخدمات من حيث الأطباء والصيادلة والعاملين فيها وهذا بدورِهِ لايتناسب مع عدد السكان في بغداد فترة العهد العثماني . (المصدر نفسه ، ص62. 63)

6. عدم الأستقرار السياسي :إن قلة مشاريع الصحة العامة في العراق يرجع إلى عدم الأستقرار السياسي فيها وذلك بسبب التبدلات السريعة لولاة العراق العثمانيين نتيجة للمؤمرات بين الولاة أنفسهم ، وشكاوي الناس من ظلمهم ، ورغبة الحكومة المركزية في إستانبول بإنهاء خدماتهم سريعاً كأجراء وقائي ضد مساعي محتملة لديهم للاستقلال الذاتي . فبغداد حكمها واحد وثلاثون والياً للمدة من 1830. 1901 . (المصدر نفسه ، ص72) كما شكلت التمردات التي كانت تقوم بها القبائل في العراق مظهر آخر لعدم الاستقرا ر السياسي وسوء الأدارة المحلية ، ومقاومة التجنيد الإلزامي ودفع الضرائب ، فقد إندلعت في العراق في المدة 1858. 1871 خمسة تمردات توزعت في أرجاء مختلفة من العراق " في الفرات الأوسط ، والناصرية ، وبغداد ، والموصل ، والبصرة " . (المصدر نفسه ، ص76) لذا إن عدم الأستقرار السياسي ، وإنعدام المسؤولية ، وسوء الأدارة ، ونقص التمويل ، علاوةً على ضعف الحكومة في العراق في أواخر العهد العثماني ، أدت إلى غياب خطة للتعامل مع مرحلة ماقبل ظهور الوباء ، لقد كان بمقدور خدمات طبية ووقائية متقدمة أن تضمن نجاح الخطة ، إلا إن الحكومة وضعت الإجراءات لمرحلة مابعد ظهور الوباء مما جعل الوباء يتفشى في مدن العراق في أواخر العهد العثماني . (المصدر نفسه ، ص77) وهكذا غالباً مانشغلت الحكومة العثماني بقمع المعارضة ، وجمع الضرائب وبالمقابل أهملوا الجوانب الآخرى للحياة ومن ضمنها قطاع الصحة العامة . (المصدر نفسه)

7. المعتقدات والشعائر الدينية : لقد كانت المعتقدات الدينية إحدى الأسباب لنشر الأمراض والأوبئة قي العراق في العهد العثماني المتأخر على حدِ قول القس وليم جودل ، الذي عاش في إستانبول خلال القرن التاسع



عشر وجهة نظر المسلمين بالطاعون قائلاً " إن المسلمين المخلصين لايمانهم بالقدر ، قد سمحوا بأن يأتي بالمرض ويذهب دون تحريك أي أصبع لمنعهِ فمقولة مايردهُ الله ينبغي أن يكون هي واحدة من البنود البارزة لعقيدتهم " (المصدر نفسه ، ص81) وعلاوةً على ذلك بأن النخبة السياسية الحاكمة كانت تؤمن بالتفسير القدري للأمراض . ولايستثنى في ذلك أحد من السلطة العليا فهذا الوالي داود باشا والي بغداد " 1816. 1831"كان قدرياً فعندما إجتاح مرض الطاعون بغداد في عام 1831 إستخدم عقيد بريطاني كل نفوذه لإقناع داود باشا بإقامة محجر صحي لكن بلا جدوى ، تلقى العقيد البريطاني جواب منهُ في مثل هكذا ظروف الذي يموت يموت والذي يحيى يحيى . (السرمري ، يوسف بن محمد ، كتاب في ذكر الوباء والطاعون ، ص87) وفضلاً عن المعتقدات الدينية ،كان الحج إلى مكة وزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية مناسبات تنتشر فيها الإصابة بالأوبئة بين الحجاج والزائرين الذين كانوا بدورهم ينقلوها إلى العالم الإسلامي . وقد وصف جراح بريطاني الحجاج لموسم الحج عام 1877 بأنهم كانوا وكلاء ممتازين لنشر الكوليرا ، لذا عُدت مواسم الحج للسنوات " 1890، 1893، 1895" مصدراً للكوليرا التي دخلت العراق . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص82) أما بالنسبة لزيارة العتبات المقدسة في العراق وطبقاً للإحصائية التي أجرتها دائرة الصحة المركزية في بغداد لسنتي 1889، 1890 كان الرقم الإجمالي للزوار الأيرانيين 23,990 و 57,567 على التوالي ، وقد سُجلت هذه الأرقام في دوائر الصحة العراقية في المنافذ الحدودية والداخلية . (المصدر نفسه ، ص82). وزيادةً إلى ذلك كان الايرانيون يؤمنون بأن أجداثهم لابد أن تدفن في النجف وكربلاء والكاظمية ، لذا جلبوا الآف الجثث براً وبحراً لتُدفن في هذهِ البقاع المقدسة ومثلت القوافل التي حملت الآف من الجثث طوال العهد العثماني تهديداً حقيقياً للصحة في العراق لأن العديد منها كانت تعود لأشخاص هم ضحايا للطاعون وأوبئة آخرى . (المصدر نفسه ، ص84) ولكن لتفادي مخاطر العدوى الوبائية الناجمة من تحلل الجثث المصابة ، عقد والي بغداد " مدحت باشا " إتفاقية مع شاه إيران في عام 1870 لغرض تنظيم نقل الجثث من إيران إلى العراق ووفق هذه الأتفاقية كان يجب دفن الموتى الإيرانيين في الأراضي الأيرانية على الأقل عام واحد يستطيع بعدها أقارب المتوفي نقل العظام الجافة في مقابر الأماكن المقدسة في العراق وقد ظن الوالي مدحت باشا بأن هذه الاتفاقية تجد حلاً نهائياً لهذهِ المشكلة ، لكن بعض الايرانيين قاموا بوسائل جديدة لتهريب الجثث وتفادي الرقابة الصحية في الحدود العراقية الأيرانية . (الوردي ، لمحات إجتماعية ، من تاريخ العراق الحديث ، ص260). وقد كانت كل الطرق المؤدية للعراق تُسمم بالروائح الكريهة للجثث المتحللة وقد بين تقرير لمجلس صحة أستانبول بشأن تفشي وباء الطاعون في العراق عام 1881 إن نقل الجثث من أيران لدفنها في البقاع المقدسة في العراق المنطقة الأكثر ملائمة لانتشار الطاعون لربما هي أحد الأسباب التي أسهمت بقوة في إعادة إنتشار الطاعون في العراق . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص88) ، وذلك يرجع إلى نقص الرقابة الصارمة والشديدة من قبل الدولتين وقد عزز هذا الضرر للصحة العامة أكثر من خلال التخلف الثقافي والأجتماعي الذي ساد العراق أثناء العهد العثماني . (المصدر نفسه)

المبحث الثالث :

أولاً:الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد

شهدت مدينة بغداد من أحداث الزمان وعانت من النكبات والويلات عبر تاريخها ، فقد قضى الفيضان والغرق علاوةً على الأمراض والأوبئة والمجاعة وإنتشار الحشرات وسوء المناخ على سكان ومعالم المدينة . لذا فليس بغريب أن يبقى بعد ذلك كله من المدينة إلاّ القليل ، وإنما الغريب أن يبقى منها شيء على حد قول الرحالة " ليدي دراور " (دراور ، في بلاد الرافدين صور وخواطر ، ص95) ولكثرة الأمراض الوبائية التي إجتاحت مدينة بغداد خلال القرن التاسع عشر تم تسليط الضوءعلى أبرزها آنذاك والمتمثلة بمرض " الطاعون ، والكوليرا ، والجدري " .

. مرض الطاعون يُعد مرض الطاعون نوع من أنواع الأمراض المعدية الفتاكة التي تُصيب الإنسان أو الحيوان ، وإنهُ واحد من هذه الأوبئة . (مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الطبية الحديث ، ص737. 738) ،ومعنى الوباء لغوياً : الطاعون في القصر والمد والهمز ، وقيل هو كل مرض عام ، وفي الحديث إن هذا الوباء رجس وجمع الممدود أوبية ، وجمع المقصور أوباء . وأرض وبيئة على فعلية والأسم البئة إذاكثر مرضها . (ابن منظور ، لسان العرب ، م1، ص189) وأما الطاعون لغوياً : رجز على من كان قبلكم وقولهِ فطعن عامر على ما لم يسم فاعلهُ أي أصابهُ الطاعون وهي هاهنا الذبحة والطاعون قُروح تخرج في المغابن وفي غيرها فلا تلبث صاحبها وتعم غالباً إذا ظهرت والمطعون شهيد هو الذي مات بالطاعون . (المصدر نفسه ، م13، ص267) ، وقد أطلق أسم الطاعون مجازاً على أي مرض وبائي كان قاتلاً لعدد كبير من الناس . الشريفي ، الطاعون عام 1831وآثرهُ على الحياة العامة في بغداد ، ص178). والطاعون حسب ماشاع بأنهُ مادة سمية ينتج عنها بثر وورم مؤلم وأكثر مايصيب المناطق الرخوة من الجسم ، ويظهر عليهِ إحمرار أو إسوداد أو إخضرار ، ويبدأ خفقان القلب بالإزدياد في كثير من الأحيان فضلاً عن التقيؤ ، (آكا ، الأمراض السارية والمشتركة بين الانسان والحيوان ، ج9، ص120) ويصنف الطاعون على إنهُ مرض من أمراض الحميات الحادة المقترنة بألتهاب الغدد اللمفاوية ، والذي تسببهُ بكتريا دقيقة ، ويتوزع الطاعون على ثلاثة أنواع رئيسة : الطاعون الدملي ، والطاعون الرئوي ، والطاعون التسممي ، وفترة الحضانة للمرض هي 3. 6 أيام ، وفي الوقت الذي تنتشر فيهِ عدوى الطاعون الدملي ويتميز هذا النوع " بألتهاب وتضخم الغدد اللمفاوية المحيطية وتكون هذه الغدد مشبعة بالخزب ، وهناك تجرثم الدم ، وتتراوح نسبة الوفيات في الحالات غير المعالجة ما بين 25. 60% ويتسم المرض في بعض الأحيان بالأعتدال ولفترة قصيرة وكذلك الطاعون التسممي ينقل عن طريق البراغيث ، فأن عدوى الطاعون الرئوي تنتقل مباشرة بواسطة الأختلاط القريب مع مريض مصاب وعن طريق الدم . على أي حال لقد كان الطاعون الدملي النوع الأكثر شيوعاً في العراق وبقية المستعمرات العثمانية الآخرى . (الجميلي



، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص96. 97). لم يكن القرن التاسع عشر مختلفاً عن القرون التي سبقتهُ بسبب تزايد هجمات وباء الطاعون والخسائر البشرية الفادحة ، إذ ضرب الطاعون بغداد مرة آخرى مدة ثلاثة أعوام متتالية " 1801. 1802. 1803" مزيلاً بذلك العديد من علامات الحياة في المدينة . (الكركولي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ص143) ، وداهم الوباء مرةً آخرى في القرن نفسه وذلك في سبيتمر 1830 وكان قد إنتشر في تبريز وكركوك وأجتاح كردستان من قبل أن يهبط على بغداد ، وشعر الوالي العثماني داود باشا بخطورة الموقف عندما دهم الوباء بغداد في هذهِ الظروف العصيبة . وطلب داود باشا من المستر تيلر . الوكيل السياسي البريطاني في بغداد بأن يبين لهُ الأساليب الحديثة قي مقاومة الأوبئة ولكن لم يظهر لتلك الأساليب آثراً في بغداد ، لذا لم يكن لدى الأهالي من وسيلة سوى أن يفروا من المدن وأشتدت وطأة الطاعون وتساقط الضحايا بالآلآف يومياً بعد أن كانوا بالمئات . وكان من يفر من بغداد يقع في أيدي العشائر المتربصة لنهبهم ، وأصبح الناس في حيرة من آمرهم . فالوباء الفتاك في المدينة وقطاع الطرق خارجها ونهر دجلة منسوبة يرتفع بسرعة مهدداً بغداد بالغرق ففر الأشخاص الأصحاء إلى تلال مرتفعة تعصمهم من الفيضان إلاّ إن إزحامهم ساعد على إنتشار الوباء بينهم . (نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص35). وفي عام 1831 كان التفشي الوبائي الأكثر فتكاً للطاعون في تاريخ العراق الحديث وقد كانت بغداد المركز الرئيسي لانتشار الطاعون فيها ، وقد جلبت العدوى إما عن طريق مصر ومن ثم عن طريق سوريا إلى السليمانية وكركوك ومنها إلى بغداد ، أو من إيران عبر خانقين والسليمانية وراوندوز . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص33) .وقد كان طاعون 1831 كارثياً بكل المقاييس سياسياً وإجتماعياً وديموغرافياً ، الذي عمل على تهديم أعمدة الحكم المملوكي في العراق . عندما حرم داود باشا ، آخر الحكام المماليك لبغداد من قصرهِ وجنودهِ ونخبة قواته فعملياً تظافرت جهود الطاعون والفيضان ليزيحاه عن السلطة ، (المصدر نفسه) أما النتائج الأجتماعية للطاعون فكانت فظيعة للغاية فقد أستئصل الوباء إما جزئياً أو كلياً أعداد هائلة من العوائل ، كما أضحى الآفاً من الأطفال أيتاماً وتركوا في الطرقات بلا مأوى ، فيما ألقيت الجثث على الأرصفة في كل مكان (المصدر نفسه) ويشير الرحالة جيمس ريموند ولستيد " لقد حاول الناس الهرب من مرض الطاعون إن البدو يختبئون في كل منعطف لكي يسلبوا ويدمروا أولئك الذين يحاولون مغادرة المدينة وهم يحملون معهم أشيائهم ، وقد أصبح كل زورق مزدحم بالناس والمرض يتعقبهم وهم في فرارهم هذا . لقد مكث الورعون والمتعصبون في المدينة وذلك إطاعة لإيمانهم بقوانين القضاء والقدر التي لاتتغير .." (رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، ص103) ويقول أيضاً " إن الطاعون قد إنتشر أول الأمر في الحي اليهودي وكان ذلك ناتجاً على أكثر إحتمال من إستعمال اليهودي لمواد الألبسة . فقد مات في ذلك الحي بغتةً خمسة أفراد في بيت واحد ومع إن المرض قد إمتد بسرعة إلى البيوت المجاورة إلا إن الحكومة والسكان لم يتحركوا بعد " (المصدر نفسه ، ص102). وفي الوقت الذي غابت إجراءات الوالي داود باشا في إجتياح هذا الوباء الفتاك في حين إتخذ الأهالي بعض الإجراءات البسيطة للحماية من هذا الوباء وعن ذلك يذكر الرحالة جيمس ريموند ولستيد " لقد إتخذ الأهالي كل إجراء ممكن لوقف تقدم الوباء فقد حول كل بيت إلى مخزن لمواد المعيشة وسدت أبواب المنازل وأحكم إغلاق النوافذ وتحصينها وأُعطي الخيار لأولئك الذين إختاروا هذا الوضع أما أن يشاركوا الناس في مجلسهم هذا ، أو أن يخرجوا . ويقصد الحصول على ضروريات الحياة فأن كل مابقي لهؤلاء من إتصال كان مع جيرانهم فقد كان يتم تغطيس كل هذه الأشياء الضرورية بالماء أول الأمر ومن ثم ترفع بحبل إلى جدران البيت ومع ذلك فإن إحتياطاتهم هذه لم تبرهن على جدواها في أية مناسبة " (المصدر نفسه ، ص103). وعندما بلغ إجتياح الطاعون ذروته لمدينة بغداد في ذلك العام فقد أصاب المجتمع بكل طبقاتهِ وعلى حد قول الرحالة ولستيد " بلغ الطاعون الآن ذروتهِ ، لقد زالت الآن كل وسائل التمايز في المجتمع ، ولم يعد أحد يأبه على نطاق واسع ، لابالأصدقاء ولابالأقارب ... وكان يموت كل يوم ألف شخص ..." (المصدر نفسه ، ص104). وقد واكب إنتشار مرض الطاعون في مدينة بغداد إختلال السيطرة والقانون والنظام في المدينة مما أدى إلى ظهور عدد من العصابات الذين تشجعوا رغم الأوضاع المخيفة بهم ، فراحت هذه العصابات تكتسح الشوارع وكذلك أخذت تتجول من بيت إلى آخر تنهب مافيه وتقتل الأحياء . (المصدر نفسه) . ولم يكن هذا الوباء قاصراً على أفراد المجتمع العراقي فقط بل أصاب المقيمين الأجانب أيضاً كما أصاب أحد النواب الهنود حيث ظهر الطاعون في بيتهِ فسقط عدد من أفراد البيت ضحايا الوباء أما النائب فقد غادر مع بعض أفراد أسرتهِ الذين نجوا من المرض إلى مدينة البصرة . (المصدر نفسه ، ص107) وكذلك أصاب الوباء زوجة أحد المبشرين الأنكليز الذي كان يُقيم في مدينة بغداد . (المصدر نفسه). أما الكارثة الديموغرافية فقد كانت مروعة . فمن مجموع سكان بغداد البالغ يوم ذاك 150,000 نسمة ، أفنى الطاعون تقريباً 100,000 شخص . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص33). وبهذا نستطيع القول كان إنتشار مرض الطاعون في بغداد عام 1831 من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى عدم تمكن الوالي المملوكي داود باشا من مقاومة الجيش العثماني الذي كان يقودهُ علي رضا اللاز ، والذي سيرهُ السلطان محمود الثاني لإستعادة العراق ، والقضاء على حكم المماليك والأستقلال فيه . (نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص39) وتفشى مرض الطاعون مرة آخرى في بغداد في شهر نيسان عام 1832 ، لكن إنتشارهِ في هذه المرة كان خفيفاً . وقد تضأل وأنتهى بحلول شهر تموز . وعاود الطاعون ظهورهِ في بغداد في شهر كانون الثاني من عام 1834 لكن عودتهِ هذه كانت خفيفة أيضاً ، وقد إنتهى كلياً في شهر نيسان . وعُد العراق منذُ ذلك التاريخ نظيفاً من التفشيات الوبائية للطاعون ولمدة ثلاث وثلاثين عاماً ، ولم يعاود الوباء ظهورهِ مرة آخرى لغاية عام 1867 . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني

الاخير 1850. 1918، ص34. 35)على أي حال إستهل الطاعون عودتهِ إلى العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بهجمات ضد بعض القرى تقع إلى الجنوب من بغداد . حيثُ شهدت الفترة من عام 1867. 1915 موجات متعاقبة للطاعون ، بعضها كان محدود الإنتشار ، والبعض الآخر كان واسع الإنتشار . (المصدر نفسه ، ص95) ففي عام 1874 إندلع الطاعون مرة آخرى ، وقد إنتدبت سلطات بغداد الصحية الجراح البريطاني "كولفيل " للتحقق من الوباء وفحص عينات من المصابين ، وبعد زيارات قام بها للعديد من البقع التي ضربها الوباء ، أعلن "كولفيل " إن المرض كان طاعوناً مؤكداً . (المصدر نفسه ، ص 104) أما في عام 1875. 1876 وصل الداء إلى بغداد في منتصف شهر آذار ، مهاجماً الأحياء الأكثر فقراً في المدينة لقد كان ظهور الطاعون الأستهلالي في بغداد خفيفاً لكنهُ سرعان ماتصدعت حدتهُ وأصبح أكثر فتكاً في الأسابيع الأخيرة من شهر آذار ، وشهد شهر نيسان ذروة الوفيات عندما لقي 69% من المصابين بالداء حتفهم . وقد تراجعت الوفيات في شهر مايس حين قضى 39% من المصابين نحبهم لقد إشتملت أعراض الوباء بوجه عام على دماميل ، وخراجات ، والآم في الأبطين والغدد النكفية والفخذين ، والرقبة وكان هناك في جميع الحالات إرتفاع حاد بدرجة حرارة الجسم يتوافق مع خطورة الحالة ، وغالباً ماكانت الوفاة تحدث في اليوم الرابع والخامس للمرض . (المصدر نفسه ، ص107. 108)أما العلاجات التي أستخدمت لمرض الطاعون آنذاك في بغداد فقد تضمنت وسائل لتخفيف حدة التورمات بالاضافة إلى أدوية تحتوي على حامض الكربوليك أو سلفات الكينين وكان لهذهِ العلاجات نتائج طيبة في حالات معينة بينما هي لم تجد في حالات آخرى إن لم تكن ضارة .(لمصدر نفسه) وحول شدة الهجمة الوبائية للطاعون على مدينة بغداد عام 1876 يشير الدكتور كولفيل " إن معظم الوفيات حدثت ضمن الأيام الثلاثة الأولى للهجمة فمن بين 534حالة سجلت 311 وفاة أثناء تلك الأيام أو نحو 58% من الخسائر في الأرواح . وكانت أغلب حالات الوفاة تلك تعود لأشخاص تراوحت أعمارهم من عام إلى ثلاثين عاماً ، 215 طفلاً ورجلاً وأمرأة شكلوا تقريباً 40% من الوفيات في الأيام الثلاثة الأولى للهجوم . ومن حيث جنس الضحايا فقد هاجم الطاعون النساء أكثر من الرجال فمن بين 534 حالة أهلك الطاعون 301 أمرأة و233 رجلاً . " (المصدر نفسه ، ص108) ويعلل الدكتور البريطاني "كولفيل " النسبة العالية للوفيات بين النساء لأسباب إجتماعية ، لقد أعتقد "كولفيل " إن المجتمع في العراق حيث تعدد الزوجات معترف به من قبل الأسلام . فقد أعطى الفقراء الذين هوجموا بالطاعون أكثر من أغنياء بغداد الفرصة لأن يكون لديهم أكثر من زوجة في بيوتهم ، على أي حال فإنهُ طبقاً للتقارير الصحية المحلية لبغداد فإن 4570 إصابة و2616 وفاة سجلت في المدينة والمناطق المجاورة من 13 آذار ولغاية 5تموز عام 1876 . (المصدر نفسه ، ص110. 111) وكان عام 1877 إمتداد لطاعون عام 1876 الذي ضرب المنطقة وكانت محدودة جداً ففي 15 كانون الثاني 1877 حدثت الحالات الأولى للطاعون في قضاء العزيزية إلى الجنوب من بغداد ، وسجلت إصابتين في بغداد في 17 من الشهر ذاته .كما تم الأبلاغ عن حالات إصابة آخرى في شباط وبداية آذار وقد بلغ الوباء ذروتهِ في المدة في منتصف آذار ولغاية نهاية مايس . سجلت 790 حالة وفاة في آذار و756 حالة وفاة آخرى في مايس . لقد شكلت هذهِ الأرقام مايقرب 95% من العدد الأجمالي للوفيات ومنذ منتصف حزيران بدأ الطاعون بالأنحسار بشكل كبير بحيث لم يمضى تموز إلا وعدت بغداد نظيفة تماماً من الوباء . (المصدر نفسه ، ص112) وحول التقديرات للمصابين بالطاعون في بغداد التي أعطتها بعض المصادر بشأن الوفيات الناجمة منهُ مشوشة فاأعتقد أحد الرحالة الأجانب زار بغداد بأن عدد وفيات الطاعون في بغداد كان 5,000 بينما أوضح الطبيب وعالم الأوبئة " جون ورتب " عمل في مستشفى في بيروت إن السلطات الصحية لبغداد قد أخفت الأسباب الحقيقة لبعض الوفيات وإن الطاعون قد أهلك مالايقل عن 2,000 شخص ، علاوةً على ذلك أشار " وربت" إلى إن عدد سكان بغداد كان يضم آنذاك نحو 50,000 مسلم ، و30,000 يهودي و2.000 مسيحي ، وبسبب مغادرة المسيحين من بغداد فور تفشي الطاعون فأن العدد الكلي للوفيات يُقسم بين المسلمين واليهود . (المصدر نفسه ، ص113) بعد تحقق مفتش صحة بغداد في بداية شهر شباط عام 1884 بأن الوباء الذي تفشى في المناطق الواقعة إلى الشرق من بغداد كان طاعوناً مؤكداً . وقد إقترن المرض مثلما لوحظ بنزف متكرر وتقيء مصحوب بالدم ، وسعال جاف ، ووفاة سريعة للمصاب في العديد من الحالات . وحدثت في تلك الآونة كارثة طبيعية فاقمت عواقب هذا التفشي الوبائي . إذ فاض نهر دجلة محولاً بغداد إلى جزيرة ، ولذلك إحتاجت أية مساعدة حكومية إلى ثمانية أيام على الأقل للوصول إلى الأماكن التي ضربها الوباء . وبحلول موسم الصيف بدأ الطاعون بالتراجع التدريجي إلى أن إنتهى تماماً في شهر تموز عام 1884. (المصدر نفسه ، ص116) لقد حدث إندلاعان بصورة متقطعة لمرض الطاعون في العراق خلال المدة بين شهر آذار عام 1892 وشهر حزيران عام 1893 . وقد أعلن المفوض الصحي الأمريكي " سبريدين زافتز يانو " في أستانبول في شهر حزيران عام 1892 " بأن الطاعون في العراق قد أختفى في الغالب " . لكن المفوض الأمريكي ذاتهُ أعلن مجدداً في شهر كانون الثاني عام 1893 بأن طبيب صحة بغداد أفاد أستنابول بأندلا ع جديد للطاعون في أواخر شهر كانون الأول عام 1892 . وعلى مايبدو إن هذا التفشي الخفيف والمتقطع للطاعون قد تواصل في العراق لغاية شهر حزيران عام 1893 ، إذ أعلنت التقارير الصادرة عن سلطات بغداد الصحية وقتذاك خلو البلاد من الداء . (المصدر نفسه ، ص117) وعليه عُد العراق ولمدة سبع سنين 1893. 1900 بلداً نظيفاً من مرض الطاعون بأستثناء حالات قليلة متفرقة حدثت في البصرة . (المصدر نفسه ، ص119) وعلى آية حال نستطيع القول بأن الذعر والهلع الذي كان يسببهُ مرض الطاعون للناس فبسبب كلفتهِ الديمغرافية العالية و تأثيره النفسي ، لايمكن مقارنت الطاعون بأي مرض معدِ آخر في التاريخ العثماني في القرن التاسع عشر.

. الكوليرا " الهيضة " وهي من الأمراض المعوية المعدية التي تسببها سلالات جرثوم ضمة الكوليرا ، (آكا ، الأمراض السارية المشتركة بين الانسان والحيوان ، ج8، ص143) وهي نوع من البكتريا كشفها " البكتريولوجي" الألماني " روبرت كوخ عام 1883 في مدينة الأسكندرية . وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق براز المريض أو بولهِ أو قيئه إلى غيرهِ من الناس ، مع الطعام أو الشراب من مياه ملوثة ببكتريا ضمة الكوليرا ، حتى إذا وصلت الجرثومة إلى الأمعاء فإنها تحدث إلتهاباً ببطانة الأمعاء ويمتلىء المسلك الهضمي بسائل رقيق مائي .(المصدر نفسه) ولأجل الوقاية من هذا الوباء لابد من التخلص من براز المرضى وبولهم وإفرازاتهم الآخرى بعد تعقيمها بعناية ، وكذلك تعقيم جميع الأوعية والأدوات التي يلامسوها . ولابد من تنقية جميع منابع مياه الشرب في المنطقة كلها وتطهيرها بالكلورين بكمية أكبر من المعتاد ، لضمان قتل جرثومة الكوليرا ، بينما أعراض المرض ،يظهر بعد العدوى بمدة تختلف من بضع ساعات إلى خمسة أيام ، ولكن مدة الحضانة العادية ثلاثة أيام . فإذا بلغ المرض أوجهُ فإن الأسهال والقيء يتعاقبان في سرعة وكثرة تفقد المريض مابجسمهِ من الماء فيصبح مسلوب الماء ، عطشان ، غائر العينين ، ضعيف الصوت ، أزرق الجلد ، كما قد تحدث لهُ تقلصات حادة في عضلات الأطراف ، مؤلمة في جميع جسمهِ ، قصور كلوي حاد وكبت البول ، تسارع في نبضات القلب ، كبت الصوت ، وإنخفاض حرارة الجسم وضعف عام أما علاج المرض لابد من عزل المريض عن غيرهِ من الناس ويجري العلاج بحقن كميات كبيرة من محلول الملح لأستعادة حجم سوائل الجسم ، وقد يلزم حقن بيكربونات الصوديوم لمعالجة التسمم الحامضي ، وكذلك تدفئة المريض بالبطانيات أو زجاجات الماء الساخن ، إذ إن درجة حرارته قد تنخفض إلى أقل من 20 درجة مئوية . ويساعد العلاج الصحيح على تخفيف القيء . (المصدر نفسه) وتسمى الهيضة : والهيض في اللغة : كل وجع على وجع فهو هيض يُقال هاضني الشيء إداء ردك في مرضك ، وكذلك الهيض جبور العظم وهو أشد مايكون من الكسر وكذلك النكس في المرض بعد الإندمال . (ابن منظور ، لسان العرب ، م7، ص249) إذن الهيض يدل على مطلق المرض ولكن فيما بعد سميت الكوليرا بالهيضة لهذا المعنى . يعتقد إن مصطلح الكوليرا مشتق أصلاً من كلمة عبرية ذات مقطعين ، كولي . را ، التي تعني المرض الخبيث أو الضار . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص132) أو من كلمة يونانية تدل على الصفراء ، " والصفر " لغوياً : داءُ في البطن بصفر منه الوجه . (المصدر نفسه) ، لأن المرض مقترن بالتقيؤ. وفي كل هجماتهِ ضد العراق وأقطار الشرق الأوسط الآخرى في القرن التاسع عشر . (المصدر نفسه) أي للكوليرا دور مميز في التاريخ الوبائي للعراق الحديث . فقد كان النصف الأول من القرن التاسع عشر حافلاً بالموجات الوبائية لهذا المرض ، فبينما كانت الكوليرا متفشية في أجزاء عديدة من الهند في عام 1817 ، جرى توريدها إلى مناطق واسعة من العالم ، بضمن ذلك أوربا . وآثر الوباء بعنف على بومباي في المدة بين 1818و1820 . ومن هناك جُلبت الكوليرا بواسطة السفن إلى مسقط في عُمان ، وبوشهر في إيران ، وإلى البصرة في شهر تموز عام 1821 ، حيث ساد الوباء فيها لمدة أربعة عشر يوماً ، مهلكاً مابين 15,000 إلى 18,000 نسمة ، أو مايقارب ربع السكان ، منهم 14,000 ألف لقوا حتفهم في غضون أسبوعين . وقد تكدست في تلك الأثناء الجثث في المساجد والشوارع ، فيما لاذ معظم أهالي المدينة بالفرار إلى الصحراء . ونقلت خلال السنة ذاتها قوارب كانت تبحر في نهر دجلة جرثومة الكوليلرا إلى بغداد ، حيثُ مات تقريباً ثلث سكانها بسبب التفشي الوبائي . وعلاوةً على ذلك بأن عدوى مرض الكوليرا السائد هناك إعتقاد بأن الزوار الهنود الزائرين إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وبغداد هم الوكلاء لنقل تلك العدوى (الكركولي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ص35) لم تكن الكوليرا على مايبدو معروفة على نطاق واسع في العراق خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر . فقد وصف المؤرخ العراقي رسول الكركوكلي في كتابهِ " دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء " " الكوليرا التي ضربت البصرة في عام 1821 ، بأنها مرض خبيث ليس لهُ أسم أو علاج معرف . على أي حال تعرض العراق تكراراً إلى وباء الكوليرا لمرات عدة منذُ عام 1851 ولغاية عام 1917 . وكانت عدوى الوباء تُجلب في الغالب من الهند ، ومكة ، وأيران وأماكن آخرى وبوسائط متنوعة . (المصدر نفسه ، ص298) وعلاوةً على ذلك إندلعت الكوليرا مرةً آخرى في العراق بعد تحركها من إيران في عام 1822 ضاربة الموصل في الربيع وبغداد في الخريف ، ووردت من أيران أيضاً مرةً آخرى في عام 1846 ووصلت إلى بغداد في 18 أيلول ، وقد إستمر التفشي الوبائي أربعين يوماً ، وكذلك عاودت الكوليرا بالتفشي بالعراق مرة آخرى في عام 1847 عندما إنفجر الوباء في البصرة ووصل إلى بغداد في 10 أيلول ، حيث سجلت ألف إصابة و 150 حالة وفاة . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850.1918، ص36)وعاودت الكوليرا بالإجتياح لمدينة بغداد بتاريخ 11 أيلول عام 1851 وأستمرت هناك لخمسين يوماً . وعاودت مرةً آخرى ظهورها في بغداد في شهر تشرين الثاني عام 1851 وأنتشرت منها إلى منطقتي كفري وكركوك ، ومن ثم إلى تبريز في أيران . وكان التحول اللاحق لهذا التفشي تحولها إلى وباء عالمي ، التطور الأكثر إثارة آنذاك . فبعد توقف مؤقت في أيران ، غزا الوباء أجزاء واسعة من القارة الأوربية ، بضمن ذلك جنوبي روسيا ، وشمالي المانيا وهولندا ، وأنكلترا وأقطار آخرى . (المصدر نفسه ، 134. 135) ولقد سجلت حالات متفرقة للإصاة في مرض الكوليرا في بغداد بتاريخ 14 تشرين الأول 1869 . ومنذُ إنفجار الوباء في ولاية بغداد في شهر تشرين الأول ولغاية إنقراضهِ في شهر كانون الأول من العام نفسه ، حيثُ بلغت الوفيات في مدينة بغداد 39 شخصاً ، والكاظمية 18 شخصاً . (المصدر نفسه) وشهد العراق مرةً آخرى حصول إندلاعات خفيفة ومحدودة النطاق والأثر للكوليرا في مناطق متفرقة عام 1870 . ومنذُ ذلك التاريخ لم تُلاحظ حالات إصابة آخرى بالكوليرا في العراق لغاية ربيع العام التالي . (المصدر نفسه ، ص140) ومع إن الهجوم الوبائي للكوليرا غطى

منطقة واسعة من العراق عام 1871. 1872 إلاّ إن خسائرهِ بالأرواح كانت نوعاً ما معتدلة . كان المصدر للعدوى الوبائية هذه المرة مدينة "بوشهر" في أيران ، حيث إنتشرت الكوليرا هناك في بداية عام 1871 . وقد توقفت الكوليرا تماماً في ولاية بغداد والمناطق العراقية الآخرى في شهر كانون الثاني عام 1872 . (المصدر نفسه ، ص141)

وفي عام 1889 إجتاحت العراق واحدة من أعنف موجات مرض الكوليرا في تاريخِهِ الحديث . وكان يُعتقد بأن عدوى المرض قد جُلبت من مدينة بومباي في الهند ، وفي العام نفسه إخترقت الكوليرا كل النطاقات الصحية الصارمة التي أُقيمت لحماية بغداد التي وصلتها العدوى يوم 14 آب عام 1889 . وقد شخص الدكتور " أدلر " المفتش الصحي المؤقت لبغداد ، الإصابة الأولى للكوليرا التي حدثت في المدينة ، وكانت لجندي توفي بعدما أدخل المستشفى لمدة ست ساعات فقط . وقد أستمرت هذه الموجة للكوليرا باجتياح بغداد لمد ثلاثين يوماً ، وقد وجد قاطنوها الأثرياء بضمنهم اليهود والأعيان وآخرين طرقاً ملائمة لمغادرة المدينة إلى القرى المحيطة . وقد قدرت مجلة أمريكية تعني بالشؤون الصحية الخسائر بالأرواح في بغداد للمدة من 20 . 30 آب من عام 1889 بين 100. 200 حالة وفاة يومياً . وقد وصف القنصل الروسي في بغداد الخسائر البشرية والرعب الذي سببهُ الوباء بالقول " غالباً ماكنا نسمع بعد الظهر عن جنازة شخص سبق إن رأيناه في الصباح بصحة تامة ، ولهذا لايعجب المرء من الذعر الذي حلّ بالمدينة والذي جعل كل واحد منهم يفكر بالفرار " وقد بلغت وفيات مدينة بغداد من مرض الكوليرا للفترة من 14 آب ألى 26 أيلول من عام 1889 "924" شخصاً . (المصدر نفسه ، ص142. 143) ووفقاً لصحيفة الزوراء العراقية ، فقد ظهرت الكوليرا في بغداد بتاريخ 13 آب 1893 وإن الوباء بلغ ذروتهُ يوم 24 آب عندما تفشى في ثكنات الجنود . وأنتشر المرض في اليوم التالي سريعاً بين السكان المدنيين . وقد قدرت الخسائر بالأرواح المسجلة رسمياً في بغداد من جراء الوباء منذُ إندلاعهِ في منتصف شهر آب ولغاية 28 تشرين الأول نحو " 693" حالة وفاة . ا(لمصدر نفسه ، ص161. 162) بينما جرت في بغداد عام 1894 فاجعتين وهما فيضان نهر دجلة فجأة في ربيع عام 1894 . وحالما بدأت بغداد تتعافى من كارثة الفيضان ، إندلع مرض غامض فيها فمات منهم بالمئات . إلا أن السلطات الصحية الرسمية رفضت الأعتراف بأن المرض كان كوليرا . (المصدر نفسه ، ص164. 165) ومن الملاحظ إنحسرت الكوليرا لاحقاً في العراق ليدخل البلد بعد ذلك في هدنة وبائية قصيرة لغاية منتصف عام 1911 ، عندما أستأنفت الكوليرا هجماتها ثانية . (المصدر نفسه ، ص178)

. الجدري عرفهُ اللغويون بقولهم : الجَدر خروج الجُدري بضم الجيم وفتحها لغتان وأما الدال فمفتوحة على كل حال وهو أسم لقروح في بدن تنفط عن الجلد ممتلئة ماء وقيح وهو داء معروف يأخذ الناس مرة في العمر . (ابن منظور ، لسان العرب ، م4، ص120) يصنف مرض الجدري من الأمراض المعدية ، ويتميز بالحمى وإندفاع البثور . وينجم المرض في العادة عن عدوى تنتقل من شخص مصاب بالجدري ولديهِ بثور في الجلد إلى شخص آخر سليم . ويمكن للعدوى أن تنتقل أيضاً من خلال الهواء . لقد كان هذا الداء سائداً على نطاق واسع في أوروبا في العصور الوسطى ولغاية العصر الحديث . وقد أدخلت السلطات الصحية الأوربية برنامج التطعيم ضد الجدري في آواخر القرن التاسع عشر . ولهذا السبب فأن مكانة الجدري كمرض قاتل قد تضائلت في الغرب ، بينما بقيت مكانتهُ بارزة في قائمة الأوبئة التي كانت تفتك بالناس بشدة في الأقطار المتخلفة ، مثل مستعمرات الأمبراطورية العثمانية السابقة وبضمنها العراق . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850. 1918، ص186). شهد العراق إندلاعات للجدري متباينة في قوتها وآثرها التدميري خلال السنوات 1854 و 1857 و 1860 ، وقد وصف الجدري عام 1870 بأنهُ زائر منتظم للعراق أزهق أرواح أعداد كبيرة من الناس وقد ذكر بأن مرض الجدري ضرب بغداد مراراً في عام 1875 ونتيجة لحدوثِهِ المتكرر عدهُ أحد علماء الأوبئة بأن الجدري وباء متوطناً في العراق . (المصدر نفسه ، ص187) ويشير الجميلي حول بعض التقارير الأمريكية تفشياً للجدري في أماكن متفرقة من العراق وخصوصاً مناطق أعالي نهر دجلة ، حيثُ ذهبت ضحيتهُ العديد من الوفيات في الفترة من ربيع عام ولغاية نهاية شتاء عام 1894 ، وكان الوباء قد بلغ ذروة هجومهِ في المدة بين آذار وتموز عام 1893 قاتلاً قُرابة " 39 " شخصاً ، وقد تراجع المرض في فصل الخريف وضمن تقرير صحي أمريكي صادر في شهر آب عام 1894 بأن الوفيات من الجدري في العراق خلال هذه السنة في 28 شباط / عام 1894 كانت " 47" شخصاً . (المصدر نفسه ، ص187)

ظهر مرض الجدري في بغداد في عام 1898 وطبقاً لمذكرة أرسلها المفتش الصحي لبغداد بتاريخ 2 كانون الأول / 1898 إلى وكيل القنصل الأميركي " رودولف هرنر " فأن الجدري كان سائداً في بغداد من 22تشرين الأول ولغاية 27 تشرين الثاني حيث أصيب " 96 " شخصاً بالمرض ، تماثل " 66 " منهم للشفاء التام وتوفي " 20 " آخرين ، فيما بقي عشرة آخرين تحت العلاج . (المصدر نفسه ، ص188) وعلى مستوى الصحة العامة في العراق في العهد العثماني ، يمكن أعتبار سنة 1906 بمثابة سنة أستثنائية ، لأن البلد كان آنذاك خالياً نسبياً من الأندلاعات التقليدية للاوبئة . لكن لسوء الحظ لم تستمر هذه الهدنة الوبائية طويلاً ، إذ حدثت السنة التالية بهجمات وبائية متنوعة في العراق ، والتي كان الجدري من أبرزها . وكانت موجة الجدري في ربيع عام 1907 التي تواصلت بشكل منقطع لغاية صيف عام 1910 الأطول في تاريخ العراق الحديث . (المصدر نفسه ، ص189) ولم تعد القنصليات الأجنبية في بغداد تهتم كثيراً بوباء الجدري ، فالمعلومات عن تفشيهِ قليلة مقارنة مع أمراض وبائية قاتلة آخرى "كالطاعون والكوليرا " ، وذلك بسبب تناقص الدور القاتل للجدري في أوربا . وإن الدور المميز للجدري في تاريخ العراق الوبائي قد تواصل لغاية العهد العثماني ولاسيما قبل مرحلة إدخال التطعيم . (المصدر نفسه)

ثانياً : الأجراءات التي أتخذت للسيطرة على الأمراض الأنتقالية في العراق في أواخر العهد العثماني

. الرقابة الحدودية : كما هو معروف تفشت الأوبئة المعدية في العراق في أواخر العهد العثماني وذلك عن طريق مختلف الأقطار كالهند ومكة وايران عبر المنافذ الحدودية ومن خلال معابر الحدود في السليمانية والبصرة . (المصدر نفسه ، ص 198، 199)

. عمل المحاجر الصحية : تم تطبيق الحجر الصحي في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في عهد الوالي مدحت باشا ، وذلك عبر المناقذ الحدودية ، وبسبب نقص المؤسسات الصحية العثمانية وطبيعة التفشيات الوبائية كان يتم تحريك المحاجر الصحية خلال الهجمات الوبائية كما هو الحال عند إنتشار مرض الطاعون 1880، 1881 أقيمت العديد من المحاجر الصحية بشكل نظامي . وعندما سادت الكوليرا في العراق 1889 تم إقامة محاجر متنقلة لمحاولة تعقب الأوبئة ووقف إنتشارها. (المصدر نفسه ، ص203) وعلاوةً على ذلك تم إستخدام النطاقات الصحية على نحو واسع من قبل سلطات الصحة العثمانية في العراق لوقف إنتشار الأوبئة ، بخلاف المحاجر التي كانت مؤسسات دائمة أو مؤقتة . فأن النطاقات كانت خطوط دفاع صحي تمتد لمسافات بعيدة تألفت النطاقات من خليط من الحراس الصحيين والقطعات العسكرية وهي كانت في الغالب تشكل حاجزاً لمنع حركة الناس من بقعة ضربها الوباء إلى بقعة آخرى . (Robert Lawson , The Milory Lectures , p50)

. القيام بتدابير وقائية : نتيجة لتفشي الأوبئة الفتاكة تبنت السلطات الصحية العثمانية في العراق تدابير وقائية ، وذلك التطهير بالمواد الكميائية والحرق بالنار ، لحماية الناس من العدوى ، وعزل المرضى ، وحرق أمتعتهم الشخية بالنار ، وتهوية المواضع المصابة ، وتطهير الأماكن التي ضربها الوباء . (الجميلي ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850، 1918، ص213)

. التطعيم ضد الأمراض المعدية : لم يكن في مطلع القرن التاسع عشر تطعيماً رسمياً في العراق ، وذلك إن التطعيم ضد الطاعون والكوليرا لم يكن مكتشف ، بل كان لقاح الجدري الوحيد الذي أنتج في أوربا والولايات المتحدة الامريكية في أوائل القرن التاسع عشر ، فضلاً عن الأمبراطورية العثمانية لم ترع برامج نظامية عالية الكفاءة للتطعيم حتى وقت متأخر جداً فلم تكن التطعيمات ضد الطاعون والكوليرا مدرجة أصلاً في برامج الصحة العثمانية . بينما كان لقاح الجدري معروف بين أطباء أستنابول . (المصدر نفسه ، ص218)

الخاتمة

لقد أثرت العواقب المدمرة للأمراض الأنتقالية ، ولاسيما عصبة القتلى الثلاثة ، الطاعون ، الكوليرا ، والجدري بعمق في حياة الناس بالعراق ومنهُ مدينة بغداد طوال الفترات العثمانية المتأخرة وتحديداً في القرن التاسع عشر الميلادي . ومما لا ينكر إن تدابير عديدة كانت قد اتخذتها السلطات العثمانية المركزية في إستانبول والمحلية في الولايات الثلاث بغداد ، الموصل ، والبصرة من أجل تفادي كوارث الموجات الوبائية المتلاحقة . لكن من المؤكد إن الإدارة العثمانية في العراق لم تعطي اهتماما كافياً للحد من تواتر الأوبئة وكبح جماحها . ففي ذلك الوقت أظهر العديد من السياسيين والمسؤولين الحكوميين رغبة أقل في تبني إجراءات وقائية جذرية وبرامج متطورة بعيدة المدى لاستئصال الأوبئة على نحو شامل ، علاوةً على ذلك فأن الجهل والتخلف وانعدام المسؤولية كانت عناصر أساسية أعاقت تنفيذ بعض تلك الإجراءات وقللت كثيراً من فاعليتها الإيجابية في السيطرة على الأمراض المعدية في العراق ومنهُ مدينة بغداد . وقد أهلكت هذه الامراض ثلثي سكان بغداد ، هذا إضافة إلى التداعيات الخطيرة التي خلفتها الأمراض الثلاثة على سكان بغداد في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وإن ما خلفوها كانت كارثية بكل المقاييس. فضلاً عن بعض الإجراءات التي اتخذتها السلطات العثمانية للحد من هذه الأوبئة الفتاكة من خلال الرقابة الحدودية ، والمحاجر الصحية والنطاقات الصحية ، وكذلك القيام ببعض التدابير الصحية والعمل على التطعيم ضد الأوبئة المعدية.

المصادر

أولاً : الكتب

[1] الأشعب ،خالص ، مدينة بغداد نموها بنيتها تخطيطها ، الموسوعة الصغيرة ، (108) ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد 1982م .
[2] أكا ، بيدرون ويورس زفريس ، الأمراض السارية والمشتركة بين الأنسان والحيوان ، ترجمة ، لجنة من أساتذة كلية الطب البيطري ، مراجعة ، د. خليل إبراهيم الطيف .
[3] أبن عياض ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت544هـ) ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، المكتبة العتيقة ودار التراث .
[4] أبن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .
[5] 5. أبو طبيخ ، جميل ، مذكرات بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2008.
[6] بكنغهام ، جيمس ، رحلتي إلى العراق سنة 1816م ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، ج1، مطبعة أسعد ، بغداد ، 1968م
[7] الجبوري ، جميل ، مجالس الأنس والطرب في بغداد القديمة ، مجلة بغداد ، العدد (24) ، شباط ، 1966م .
[8] الجميلي ، قاسم ، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850، 1918، دار دجلة ، عمان ، 2017.
[9] . الحجية ، عزيز ، بغداديات ، ج2، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1968م .
[10] الحسني ، عبدالرزاق . عبدالعزيز الدوري ، بغداد ، ط1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1984م .
[11] حسين ، عبدالرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، 1977م.
[12] دراور ، ليدي ، في بلاد الرافدين صور وخواطر ، ترجمة فؤاد جميل . ط1، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1961.
[13] الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت1205هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية ،
[14] الزبيدي ، فخري ، بغداد من 1900 . 1934م، ج1، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1990م .
[15] السرمري ، يوسف بن محمد ، كتاب في ذكر الوباء والطاعون ، الطبعة الاولى ، عمان ، الدار الأثرية ، 2005.
[16] سوسة ، أحمد ، الدليل الجغرافي العراقي ، مطبعة التمدن ، بغداد ، 1960م
[17] السويدي ، عبد الرحمن ، حوادث تاريخ بغداد والبصرة ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، بغداد ، وزارة الثقافة والفنون ، 1978.
[18] الشيخلي ، محمد رؤوف طه ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعده ، ج1، مطبعة البصرة ، البصرة،1972م .
[19] شوكت ، ناجي ، سيرة وذكريات ،ج1، ط2، مطبعة الخلود ، بغداد ،1990م .
[20] 20. صفوة ، نجدت فتحي ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب ، ط2، مطبعة منير ، بغداد ،1984م .
[21] العلاف ، عبد الكريم ، بغداد القديمة 1869. 1917، الطبعة الثانية ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، 1999 .
[22] العلوجي ، عبدالحميد ، التراث الشعبي ، حضارة العراق ، ج13، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1985م .



[23] العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد 1954م .

[24] فريزر ، جيمي بيلي ، رحلة فريزر إلى بغداد في 1834م ، ترجمة ، جعفر الخياط ، ط1 ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1964م .

[25] فوستر ، هنري ، نشأت العراق الحديث ، ج2، ط1، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، الفجر للنشر والتوزيع ، بغداد ، 1989م .

[26] فوصيل ، بيردي ، الحياة في العراق منذ قرن 1814. 1914، ترجمة أكرم فاضل ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1968م .

[27] فوك ، وليم بيري ، أحوال بغداد في القرن الـ 19 ، ترجمة ، عبود الشالجي ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1960م .

[28] ولستيد ، جيمس ريموند ، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، ترجمة وتعليق ، سليم طه التكريتي ، مطبعة ثويني ، بغداد ، 1984م.

[29] لونكريك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1900. 1950م ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ،ج1، ط1، مطبعة حسام ، بغداد ، 1988م .

[30] ليدي ، دراور ، في بلاد الرافدين صور وخواطر ، ترجمة ، فؤاد جميل ، ط1، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1961م .

[31] الكركوكلي ، رسول ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم ، بيروت ، 1964 .

[32] مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الطبية الحديثة ، ترجمة ، أحمد عمار وآخرون ، ط2، القاهرة ، 1970.

[33] المدفعي ، قحطان ، بغداد ، وزارة البلديات مديرية التخطيط والتصميم العامة، بغداد ، 1962م .

[34] الموسوعة الطبية الحديثة ، تأليف نخبة من علماء هيئة المطبعة الذهبية ، ترجمة : إبراهيم أبو النجا وعيسى حمدي المازني ولويس دوس ، إشراف الإدارة العامة للثقافة ،

[35] نوار ، عبد العزيز سليمان ، تاريخ العراق الحديث ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1387. 1968، ص35.

[36] الهيتي ، صبري فارس ، تخطيط مدينة بغداد ، مجلة المورد . عدد خاص عن بغداد ، العدد (4) ، شتاء 1979م .

[37] الهلالي ، عبدالرزاق ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638. 1917م، ط1، شركة الطبع والنشر الأهلية ، بغداد 1959م .

[38] الوردي ، حمودي ، الحياة الشعبية على شواطيء دجلة ، مطبعة أسعد ، بغداد ، 1970م .

[39] الوردي ، علي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج1، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1969 .

[40] ولستيد ، جيمس ريموند إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، بغداد .

[41]

[42] ثانياً : المجلات

[43] البكري ، عبدالرحمن ، جلال الحنفي يتحدث عن النظام العمراني في بغداد القديمة ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (17) ، 1978م .

[44] جلبي ، أوليا ، مقتطفات من مشاهدات أوليا جلبي في بغداد ، ترجمة ، حسين علي الداقوقي ، مجلة الأخاء ، العدد (65) ، أيلول ، تشرين الاول ، 1972م .

[45] الجميلي ، صادق ، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (19) ، 1979م ،ص20.

[46] الخياط ، جعفر ، أطوار غريبة في باشوات بغداد ، مجلة بغداد ، العدد (21) ، شهر آب ، 1965م ، ص16

[47] الشريفي ، لقاء شاكر ، الطاعون عام 1831 م وآثرهُ على الحياة العامة في بغداد ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، العدد (1) ، آذار ، 2018،.

[48] عبود ، عبدالمنعم كاظم ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (9) ، أذار 1977م

[49] العرداوي ، عادل ، محمود صبحي الدفتري وذكريات بغداد ، مجلة أمانة العاصمة العدد (18) ، 1978م .

[50] الكتاتيب ، مجلة بغداد ، العدد (18) ، أذار ، 1965م .

[51] Robert Lawson, The Milory Lectures on Epidenios Aspects of Infuences on the EpidemioiogicaL 2. Cholera (London : J . & A Churchil , 1888) P50 J.F Payne . Vol . I. P . 923